مشاكلك لها حل

تأليف

ج. كامبل مورجان

تعريب

ش. أ.

عمر المهدي

مشاكلك لها حل

ترجمة موجزة لكتاب

Life Problems
G. Campbell Morgan

© حقوق الطبع والنشر محفوظة
دار الكتاب الشريف
2013

ISBN 978-1-61364-110-1

يُطلب من:
Pry4Ms@SharifBible.com

الآيات الكتابية مأخوذة من الكتاب الشريف طبعة 2013

فهرس

الفصل الأول
الذات 5

الفصل الثاني
البيئة 19

الفصل الثالث
الوراثة 31

الفصل الرابع
العداوة الروحية 39

رُموز أسْمَاء كُتبُ الوَحيِ

1أخ	أخبار الأيام الأول
2أخ	أخبار الأيام الثاني
إر	إرميا
إس	إستير
إش	إشعيا
أع	أعمال الرسل
أف	الرسالة من بولس إلى المؤمنين في أفاسس
أم	الأمثال
أي	أيوب
1بط	الرسالة الأولى من بطرس
2بط	الرسالة الثانية من بطرس
تث	التثنية
1تس	الرسالة الأولى من بولس إلى المؤمنين في تسالونكي
2تس	الرسالة الثانية من بولس إلى المؤمنين في تسالونكي
تك	التكوين
1تم	الرسالة الأولى من بولس إلى تيموتاوس
2تم	الرسالة الثانية من بولس إلى تيموتاوس
تي	الرسالة من بولس إلى تيتوس
جا	الجامعة
حب	حبقوق
حج	حجي
حز	حزقيال
خر	الخروج
دا	دانيال
را	راعوث
رو	الرسالة من بولس إلى المؤمنين في روما
رؤ	الرؤيا
زك	زكريا
صف	صفنيا
1صم	صموئيل الأول
2صم	صموئيل الثاني
عا	عاموس
عب	الرسالة إلى العبرانيين
عد	العدد
عز	عزرا
عو	عوبديا
غل	الرسالة من بولس إلى المؤمنين في غلاطية
فل	الرسالة من بولس إلى فلمون
في	الرسالة من بولس إلى المؤمنين في فيلبي
قض	القضاة
كو	الرسالة من بولس إلى المؤمنين في كولوسي
1كور	الرسالة الأولى من بولس إلى المؤمنين في كورنتس
2كور	الرسالة الثانية من بولس إلى المؤمنين في كورنتس
لو	لوقا
مت	متى
مر	مرقس
مرا	مراثي إرميا
مز	المزامير
1مل	الملوك الأول
2مل	الملوك الثاني
ملا	ملاخي
مي	ميخا
نا	ناحوم
نح	نحميا
نش	نشيد الأناشيد
هو	هوشع
لا	اللاويين
يش	يشوع
يع	الرسالة من يعقوب
يه	الرسالة من يهوذا
1يو	الرسالة الأولى من يوحنا
2يو	الرسالة الثانية من يوحنا
3يو	الرسالة الثالثة من يوحنا
يو	يوحنا
يون	يونس
يؤ	يوئيل

الفصل الأول

الذات

«حِينَ أَتَأَمَّلُ سَمَاوَاتِكَ الَّتِي أَبْدَعَتْهَا أَصَابِعُكَ، والْقَمَرَ وَالنُّجُومَ
الَّتِي وَضَعْتَهَا فِي أَمَاكِنِهَا، أَقُولُ: مَا هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تُفَكِّرَ فِيهِ؟
وَمَا هُوَ الْبَشَرُ حَتَّى تَهْتَمَّ بِهِ؟»

مزمور 8: 3–4

يقول الملك داود بوحي الله، «مَا هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تُفَكِّرَ فِيهِ؟ وَمَا هُوَ الْبَشَرُ حَتَّى تَهْتَمَّ بِهِ؟»[1] هذه هي من أكبر المعضلات التي تواجهنا نحن البشر. لقد لخّص الفلاسفة والمعلمون القدماء فلسفاتهم وتعاليمهم في هذه العبارة، «أيها الإنسان، اعرف نفسك». وإذا استطاع الإنسان معرفة نفسه، فلن تبقى مشكلة لا يحلها. عندما يعرف الإنسان نفسه بحق، ويدرك أسرار وجوده ويسبر كل أغوار كيانه، سيكون أيضًا، وبالتأكيد، قد اكتشف الله خالقه وسنده.

كذلك سيعرف الإنسان عندئذ، مشكلة أخيه الإنسان، فيدرك الأخوّة العظمى بين البشرية. وبمعرفته لنفسه ولإمكانيات طبيعته، سوف يفهم ذلك التعبير الغريب، الذي يكاد يبدو بلا معنى، ألا وهو تعبير «الخلود» أو «الأبد». ومن غير ريب، حين يعرف الإنسان نفسه سيعرف أيضًا جميع أسرار الطبيعة، وسيطّلع على شتى سُبُلها المتنوعة. وصدق تنيسون حين غنّى في شعره:

1) مز 8:4

«أيتها الزهرة في شق الجدار،
سأقطفك من هذا الصدع
وأحملك هنا بيدي،
أيتها الزهرة الصغيرة الجذر والكيان.
لو استطعت أن أدرك
ما تكونين،
لعرفت ما هو الله وما هو الإنسان.»

لذا أقول مرة أخرى إن المعضلة الأولى التي تواجه العقل المفكر هي معضلة الإنسان: من أين أتيت؟ وإلى أين أذهب؟ وماذا تعنيه كل هذه العناصر المتعارضة داخل طبيعتي؟ كيف أني أحب ذات يوم، ثم في خلال ساعة واحدة أكره؟ ما مغزى جميع هذه التجارب الغريبة والمتناقضة التي أجتازها وأنا أشق طريقي في الحياة؟

سنحصر دراستنا هنا ضمن حدود ضيقة جدًا. وسنحاول أن نجيب عن سؤال داود، «ما هو الإنسان؟» في ضوء كتاب الله. ولن نتطرق إلى موضوع الإنسان كما نعرفه، مصابًا بالفساد، ومحطمًا وملوثًا بالإثم، فهذا سيكون مدار بحث مقبل. إنما نتناول الآن بالدرس الإنسان في نفسه. ما الذي كان في فكر الله وقلبه حين قال في الماضي السحيق وبمشورته الأزلية، «لِنَصْنَعِ الإِنْسَانَ.»[2] ما الإنسان؟

لكي نفهم هذه المعضلة كما تفرض ذاتها اليوم، من المهم أن نسأل عما كان قصد الله من خلق الإنسان. فليس بإمكاني أن أفهم الإنسان الساقط، المذنب

2) تك 1: 26

والكسير القلب، ما لم أملك الرؤيا عن إنسان غير ساقط، وبلا ذنب، وسليم القلب والشعور تجاه الله.

ولتوضيح الصورة، أقدم هذا المثل البسيط: لنفرض أني غريب عن هذا المكان، نُقلت إليه فجأة من بلاد بعيدة ومن وسط قبائل تعيش في أعماق الغابات بعيدا عن أي مدينة. ولهذا لم أكن أعرف شيئا من حضارة البلاد الأخرى، أو من كل التقدم الجاري في هذا الزمن. ثم أخذوني فورًا إلى مكان فيه شبكة خطوط حديدية ضخمة، حيث كان قد وقع حادث مروع لأحد القطارات قبل ساعات قليلة. هنا نجد حطام العربات والقاطرة المتناثر في فوضى.

فليس من الإنصاف أن يقولوا لي، وأنا أحدق في الحطام، إن ذلك كان قطارا. ما هو القطار بالنسبة لي، إن كنت لم أر قطارا في حياتي؟ إن ما أراه الآن ليس إلا مقاعد مكسرة، ونوافذ محطمة، وأشياء ملتوية من حديد وخشب وغيرهما. فلو أرادوا أن أعرف ما هو القطار، لوجب عليهم يأخذوني إلى قطار لأراه لا إلى حطام! إلى الأصل، لا إلى ما نتج عن الحادث!

كذلك حين نسأل: ما هو الإنسان؟ لن يكون من العدل أن نشير إليه كما نراه اليوم، وظلمة الخطيئة في عينيه، ونتائجها واضحة في جسمه، وتأثيرها في نشاطه الذهني الواهن، وقوته الروحية المشلولة.

لكي أجيب عن ذلك السؤال، ينبغي عليّ أن أنفذ إلى وراء الوضع الحالي للإنسان، وأصل إلى إدراك ماهيته وحقيقته في نفسه، وفقًا لقصد الله وفكره.

1

لننظر كيف حدد الوحي، في المزمور، هذه المسألة بمعالم مثيرة للإنتباه. فهو يقترب منها خلال ملاحظات معينة؛ ولذلك يجب علينا أن نفهم ملاحظاته أولا لكي نستطيع أن ندرك عمق ومعنى السؤال الذي طرحه، «ما هو الإنسان؟»

يقول في ملاحظته الأولى، «حِينَ أَتَأَمَّلُ سَمَاوَاتِكَ الَّتِي أَبْدَعَتْهَا أَصَابِعُكَ، والْقَمَرَ وَالنُّجُومَ الَّتِي وَضَعْتَهَا فِي أَمَاكِنِهَا». وفي ملاحظته الثانية يرد قوله، «مَا هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تُفَكِّرَ فِيهِ؟ وَمَا هُوَ الْبَشَرُ حَتَّى تَهْتَمَّ بِهِ؟»

لنأخذ هاتين الملاحظتين ونلقي عليهما نظرة فاحصة. أعتقد أنه كان لداود الحق في أن يقول، «حِينَ أَتَأَمَّلُ سَمَاوَاتِكَ،» لأني أفترض أنه فعلًا تأمل سماوات الخالق، ولا أعتقد أن كثيرين منا يحق لهم مثل هذا القول. ربما البعض منا يتوقف قليلا عن مشغولياته ليتأمل في السماوات، كما أننا جميعًا، في لحظات الطفولة البريئة، حدقنا أثناء الليل في السماء المزينة بالنجوم. لا بد أننا في تلك الأيام التي ربما كان البعض قد نسيها، شعرنا بالرعدة والخشية وتأثرنا بفصاحة الليل الصامتة. لكن داود تأمل السماوات والقمر والنجوم لا في أعجوبتها الظاهرة من أعدادها التي تفوق الحصر، ونظامها الكامل، وحريتها المطلقة وحسب، بل وليخلص إلى السؤال، «ما هو الإنسان؟»

ويأتي الجواب واضحًا لكل قلب: إن الإنسان صغير، وضعيف، وفانٍ، كما قال داود، « كُلُّ إِنْسَانٍ هُوَ نَفْخَةٌ. »[3]

يأتي الرجل ويمضي، يولد ويموت، ثم يُنسى مثل حلم يتبدد عند طلوع النهار.

3) مز 39: 5

أقف عند سفح جبل ترتفع قمته فوق الغمام، وتقبض ذروته على الفجر، وأهتف: ما أنا؟ لقد ظل هذا الجبل منتصبًا هنا برسوخ عبر أجيال وأجيال، بينما أنا الواقف عند سفحه سأمضي قبل أن تذيب الشمس الجليد عن قمته. حقًا، «ما هو الإنسان؟»

لكن لدى منشد المزمور ملاحظة أخرى، فيها يذكر اهتمام الله بالإنسان، « حَتَّى تُفَكِّرَ فِيهِ... حَتَّى تَهْتَمَّ بِهِ،» وإذا كانت السماوات بديعة فقد «أبدعتها أصابعك». أجل، يد القدرة الإلهية صنعت السماوات، ولكن الخالق بنفسه يفكر في الإنسان ويهتم به.

له الجلال تدبّر، من غير جهد أو كلل، المجرات والكواكب والنجوم التي لا يستطيع الإنسان حصرها. وهو الذي رسم مواكب القرون التي لا يمكن للإنسان عدّها! ومع ذلك فإنه سبحانه وتعالى يفكر في الإنسان! «ما الإنسان؟» مخلوق ضعيف وضئيل وزائل، تهزأ به النجوم وقوى الطبيعة العاتية، لكنه يجذب اهتمام الله، فيفكر العليّ القدير فيه ويهتم به.

إذن تحددت المعضلة. ومن المهم أن ترى بجلاء مدى قرب العلاقة بين الملاحظتين الاثنتين اللتين وردتا في المزمور. كما يجدر بك أن تعي أنه لو لم توجد هاتان الملاحظتان، لما كان ما يدعو إلى التساؤل عما هو الإنسان. فإذا كان واضحًا أن الإنسان أعظم من الكون، لأن فيه نسمة حياة من القدير جل وعلا، عندئذ لا يدهشني أن الله «يفكر في الإنسان... ويهتم به». ومن الناحية الأخرى، إن لم يفكر الله في الإنسان فلن أتساءل عن الأمر؛ لأن الإنسان جزء من التلاشي المحيط به، يعيش حياته القصيرة، ينال فيها يومه، ثم يهلك وتزول معه هويته وشخصيته. يعود إلى تراب الأرض الأم، ويمتزج مرة أخرى بالعناصر الأولى التي كانت قد كونته لعدة سنين مضت، ولن نعرفه ثانية إلى الأبد. إذا

كان هذا هو حاله، فلا سؤال عندي حوله. إنه أجمل زهرة تفتحت على وجه الأرض، وهو المُنعَمُ عليه أكثر من أيٍّ من أشكال المادة الأخرى؛ وهذا كل شيء عنه. ولكن، حينما أراه أضعف من المادة، وأوهن من الجبال، وأصغر من النجوم، متلاشيًا في حضور الطبيعة الثابت، ومع ذلك يهتم الله به ويفكر فيه، « أَنْتَ تَعْرِفُ أَحْزَانِي، »[4] «شَعْرُ رُؤُوسِكُمْ مَعْدُودٌ كُلُّهُ،»[5] لا بد لي أن أندهش وأتساءل مع داود، «ما هو الإنسان؟»

2

نجد في الإنجيل الشريف ما يساند تعريفنا لهذه المعضلة، فيقدم بولس بطريقته النيِّرة تعريفًا مهمًا به يجيب عن ذلك السؤال القديم، «أَسْأَلُ اللهَ نَفْسَهُ الَّذِي يُعْطِي السَّلامَ أَنْ يَجْعَلَكُمْ صَالِحِينَ إِلَى التَّمَامِ، وَيَحْفَظَ كِيَانَكُمْ كُلَّهُ، الرُّوحَ وَالنَّفْسَ وَالْجِسْمَ، بِلا عَيْبٍ إِلَى مَجِيءِ مَوْلاَنَا عِيسَى الْمَسِيحِ.»[6] لا أضع هنا هذا النص تحت الدراسة، وإنما ببساطة أقتطف منه كلمات «الروح والنفس والجسم» المستعملة هنا بأشد العناية، لنستعين بها في البحث الذي نحن بصدده. ذلك هو الإنسان: روح ونفس وجسم. ولنتمعن بإيجاز في هذه الكلمات الثلاث، عاكسين ترتيبها، فنبدأ بالجسم، ونعقبه بالنفس، ثم ننتهي بالروح.

4) مز 56: 8
5) مت 10: 30
6) 1تس 5: 23

الجسم

قد نخالف الصواب إذا قلنا إن الإنسان جسم ونفس فقط. وقد نسيء التعبير حين نقول إن نجاة الإنسان هي نجاة النفس، مع أن نجاة الروح هي المطلوبة. د ع الروح تولد من جديد، فتُنقذ النفس والجسم تباعًا.

إن الجسم يظل أرضيًا وإن كان أسمى من أشكال الحياة الأرضية الأخرى، والقوة الجسمانية هي الأدنى بين مقومات الإنسان، ومع ذلك قال داود أيضًا، «أَحْمَدُكَ لأَنَّكَ خَلَقْتَنِي بِطَرِيقَةٍ رَائِعَةٍ وَبَدِيعَةٍ.»[7] قلائل منا يفهمون هذا القول أو يدركون مدى صحته، ويفكرون بهدوء وعمق في آلية أجسامهم العجيبة والفذة. عصرنا الحالي هو عصر الاختراع والتقدم، يُشغل الإنسان بدوامة اختراعات لا تتوقف. ويقول بعض الباحثين أنه سيأتي يوم لا نعود نعمل فيه بل نضغط على زر فيجري عمل كل شيء لنا. إن أقصى ما أتمناه هو أن أموت قبل أن يحل ذلك اليوم! ومع شتى الاكتشافات الحديثة في كل مجال ومكان، ومختلف الابتكارات المتطورة في عالم الآليات، فما من مخترع لم يحلم بأن يضاهي يد الإنسان. انظر إلى يدك فتجد أن الإبهام تواجه كلا من الأصابع الأخرى، لتمكنك من التقاط أدق الأشياء من الأرض، ومن القبض على رافعة تحرك بها كتلًا مادية ضخمة.

تأمل برهة في جسم الإنسان! وتذكر أنه ما من زهرة تفتحت في مروج الأرض بمثل جمال هذا الجسم، ولا من شجرة نمت بمثل قوة الاحتمال لديه. قد تقول، «ثمة أشجار كانت معمرة عندما بدأت حياتنا، وهي ستبقى حتى بعد إنتهاء أيامنا». لكن الأشجار لم تجابه العواصف التي نجابهها. فكل

7) مز 139: 14

تقلبات الجو التي تتعرض لها شجرة البلوط، كل الرياح التي تهب وكل الأمطار التي تهطل، هي أشبه بلعب الأطفال بالمقارنة مع عذاب الفكر وانكسار القلب ومشاكل الحياة الأخرى التي تعترضك، ولكنك على الرغم منها تصمد وتتحمل.

عندما نفكر في الجزء المادي من كيان الإنسان، نتبين أن في قوته وفي جماله إبداعًا أكثر مما في أي شيء آخر خلقه الله. ومع ذلك، نسأل: ما هو هذا الجسد الذي نملكه؟ والجواب: إنه أساس الحياة، عليه تُظهر العناصر الأخرى ذاتها مؤقتًا، ومؤقتًا فقط. جسمي هذا، الذي يتخطى في أعجوبته كل الإدراك البشري، إنما هو لليوم وليس للغد. وفي غد الله تعالى، أي في الخلود، سأحصل على جسم من نوع آخر، لن يكون الجسم الأرضي والمادي، بل السمائي والروحي. هو مسكن الروح في يوم الإمتحان. ونعيد القول أنه في آليته أشد روعة وإدهاشًا من الشمس والنجوم، ومن الشجرة والزهرة، ومن أي صورة غيره للمادة، ومع ذلك فهو أدنى طور في حياة الإنسان المعقدة.

النفس

تشير هذه الكلمة إلى الحياة الحيوانية للإنسان، إلى قوة الوعي التي تُشعر بالألم وبالفرح. وبلا أدنى شك ستقر بأن الحياة الحيوانية في الإنسان تسمو، من جميع النواحي، على شتى الأشكال الأخرى للحياة الحيوانية. إن الإنسان كحيوان، من دون أية إشارة إلى الجلال العظيم الذي يكلله، مؤهل للفن والموسيقى وآداب اللغة وللتخيل. وقد تزدهر كل هذه الأمور حتى ولو مات الإنسان روحيًا. قد يسألني أحدكم، «هل تعني أن جميع هذه القدرات تجد نشاطها الكامل في إنسان ميت روحيًا؟» كلا، على الإطلاق. وإنما أقول إن

أروع فن عرفه العالم قد ألهمته الروح، وأبلغ قصيدة شعرية لقلم بشري قد نُظمت حين سادت الروح على حياة ناظمها. بيد أنني أضيف إلى ذلك أنه في النطاق العقلي لحياة النفس قد يوجد فن وموسيقى وأدب وقدرة على الإبداع، بينما روح الإنسان ميتة في الذنب والمعصية. وليست هذه نظرية جديدة. فإذا رجعنا إلى التوراة، نقرأ في كتاب التكوين أن إدريس، الذي كان من الجيل السابع بعد آدم قد سار «مع الله.»[8] وعاش لامك في الوقت عينه تقريبًا، ولكنه كان بعيدًا عن الله،[9] ومع ذلك نشأت حوله اختراعات وصناعة وموسيقى. وقد تكررت هذه الحالة في تاريخ الإنسان فشهدنا كيف أمكن أن يكون فنانًا أو شاعرًا أو أديبًا عبقريًا، أو رسولًا إلى رفاقه البشر حاملًا رسالة قيم أخلاقية عليا، حتى وإن كانت روحه ميتة.

الروح

نفخة الله المجانية، وهي إلهية في إمكانياتها وقدراتها. إنها الجلال الأسمى لكل حياة بشرية، غير موجودة في أي من الكائنات الأدنى من الإنسان.

عندما ألتقي شخصًا ما في الطريق، فإن أول ما أقابل فيه هو حضوره البدني، الذي يروق لي عبر نظري. وإذا توقفنا وتحادثنا، فإني أصل إلى نفسه، أي جانبه العقلي، من خلال كلامه. وحينما أعيش وأقيم معه، أبلغ إلى روحه، إن كانت حية وناشطة، ليس بواسطة البصر أو النطق، بل من خلال ما يمارسه من تأثير فيّ.

نعود إلى السؤال، «ما هو الإنسان؟».

8) تك 5: 22
9) تك 4: 19–24

الإنسان أقل من السماوات، لكنه بديع في نفسه حتى يُفكر الله فيه ويهتم به. الإنسان جسم (من الأرض) ونفس (أسمي شكل من الحياة الحيوانية) وروح (من الله). لم يخلقه البارئ فحسب، بل وجعله على صورته تعالى ليُعبِّر عنه.

«ما هو الإنسان؟» إنه اتحاد روحي مادي، هو تاج الخليقة، فيه تزدهر الطبيعة وتسمو لأن الله خلقه ليعبر عنه تعالى. ففي وجوده تتزاوج الأرض والسماء، وترتبط المادة بالروح. هو في نفسه، من الأرض ومن السماء معًا. إنه أغرب وأجلّ ما صنعته مهارة الخالق القدير، وأبدع ما عمله تعالى في الكون كله.

إذا أذنب الإنسان، فكل الطبيعة تهوي؛ وبحق قال الوحي في الإنجيل الشريف، «فَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْخَلِيقَةَ كُلَّهَا تَئِنُّ لِحَدِّ الآنَ كَمَا مِنْ آلامِ الْوِلادَةِ.»[10] عندما تسود الروح في حياته، يكون في أحسن حالاته، وتكون له السلطة فوق كل الأشياء. وإذا كان روحًا في كينونته الجوهرية، فهو إذن خالد، لا موت له. ولكنك ستقول، «هنالك موت. ولقد مات البشر في جميع العصور.» يا صديقي هذا ليس جزءًا من دراستنا الراهنة، التي تدور حول السؤال: ما هو الإنسان؟ لسنا نسأل هنا: من هو الإنسان، في سقوطه؟ تذكَّر أن «أُجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ الْمَوْتُ.»[11] لقد جاء الموت بسبب الخطيئة التي هي في الإنسان نفسه. أما في أساس التدبير الإلهي لخليقته، فلا يوجد موت، بل انتقال. هذه الحياة هي امتحان، زمن للإختبار والتجربة فيها يرى الإنسان ببصيرته كل روعة وجوده. ثم بعد الامتحان، يأتي التحول أو الإنتقال، الذي يؤدي دورًا جديدًا في مُلك الله الأزلي محققًا غرضه تعالى.

10) رو 8: 22
11) رو 6: 23

3

هذه ليست قصة حياتي، بل هي على وجه الدقة ما يعلمنا إياه الوحي، في الرسالة إلى العبرانيين، مقتبسًا فيها ذات المزمور الذي عليه نبني دراستنا، «مَا هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تُفَكِّرَ فِيهِ؟ وَمَا هُوَ الْبَشَرُ حَتَّى تَهْتَمَّ بِهِ؟» ثم يقول الوحي إننا، « فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ، لا نَرَى كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ سُلْطَتِهِ.»[12] وأدعو الله أن تنتبه إلى أن السلطة المقصودة هنا في المقام الأول ليست سلطة عيسى؛ إنما الحديث هنا هو عن الإنسان عموما لأن كل الأشياء لم تكن بعد قد خضعت له. لكن الوحي يقول أيضًا، «إِنَّمَا نَرَى عِيسَى الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ أَقَلَّ مِنَ الْمَلائِكَةِ قَلِيلا، الآنَ مُتَوَّجًا بِالْجَلالِ وَالْكَرَامَةِ لأَنَّهُ تَأَلَّمَ وَمَاتَ. فَهُوَ بِنِعْمَةِ اللهِ مَاتَ مِنْ أَجْلِ كُلِّ النَّاسِ.»[13]

إننا نرى عيسى الذي جعله الله «أقل من الملائكة» يأتي إلى مستوانا، متوجًا. إذن هو الرجل الوحيد الذي خضعت له كل الأشياء. هو وحده قد حقق المثل الأعلى الإلهي، وهو الآن في محضر الله تعالى، بحق؛ ولكن هذا الحق لم يكن حق عفو اشتراه له غيره، بل كان حقًا اكتسبته حياته الطاهرة.

إذن نحن لا نرى الأشياء كلها موضوعة تحت سلطة الإنسان، بيد أننا نرى عيسى متوجًا بالجلال والشرف. ولماذا تُوّج؟ الجواب، «وَبِمَا أَنَّهُ هُوَ نَفْسَهُ تَأَلَّمَ وَامْتُحِنَ، فَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يُعِينَ مَنْ هُمْ فِي مِحْنَةٍ.»[14]

لأن عيسى متوج، فهو قادر أن ينقل قوة قيامته إلى حياتي، أن يأخذني كما أنا، مدمرًا محطمًا فاشلًا، ويعيد صياغتي من جديد، خارج حطام ذنوبي

12) عب 2: 8
13) عب 2: 9
14) عب 2: 18

«اللهُ هُوَ صَانِعُ كُلَّ شَيْءٍ بِقُوَّتِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مَوْجُودٌ لِجَلالِهِ. فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُحْضِرَ أَبْنَاءً كَثِيرِينَ إِلَى جَلالِهِ، جَعَلَ الَّذِي يَقُودُهُمْ إِلَى النَّجَاةِ يُكَمِّلُ عَمَلَهُ بِوَاسِطَةِ الأَلَمِ.»[15]

إنه قادر أن ينقذ الذين يدعون الله باسمه.

ختامًا أود أن أسألك: في أي مستوى تحيا؟ أفي مستوى الجسم، أم مستوى النفس، أم مستوى الروح؟ إن الغالبية الكبرى من الناس تعيش اليوم في المستوى الأدنى، لكن هناك عددًا كبيرًا يحيا في المستوى الثاني، ولكن هناك، ولله الحمد، من يحيا في المستوى الثالث، الأعلى، مستوى الروح. أين تحيا أنت، يا أخي؟ أحيث يشبع جسمك؟ أو يتثقف عقلك؟ أو تنمو في روحك؟

إن كنت حتى الآن تعيش في العالم المحسوس البدني، الفاني والمادي، فإني باسم «الرجل المتوج» القادر على أن يساعدك وينجيك، أدعوك إلى أن تأتي إلى صليبه، إلى جانبه، إلى ملكه.

15) عب 2: 10

الفصل الثاني

البيئة

لأَنَّنَا فِيهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ.

أعمال الرسل 17: 28

نـاقشنـا في الفصل الأول معضلة الذات البشرية. وننتقل الآن إلى دراسة القوى والعوامل الخارجية التي تؤثر في الإنسان أي بيئته. ولسوف نتعرض إلى البيئة كمفهوم شائع أولًا، وكوحي إلهي ثانيًا، ثم نتناول العلاقة بينهما.

1

لنأخذ أولًا المفهوم الشائع وهو مؤسس على حقائق واضحة لكل الباحثين، وكذلك لكل واحد منا، ليس من مجرد ملاحظتنا لحياة الآخرين، بل ومن اختباراتنا الشخصية.

يتأثر الإنسان ويتغير بفعل ما يحيط به كل يوم في حياته. ومن أدهش الدلائل على ذلك، التأثير الذي يحدثه فيه رفاقه وعشراؤه. فإذا كانت مجموعة الرفاق مهذبة ومثقفة، سيصبح هو أيضًا مهذبا، إلى حد ما، وعلى الرغم منه تقريبًا. وإن كان من الناحية الأخرى، ذا نشأة حسنة، واختار أن يتخذ له أصدقاء من بين الغشاشين والخسيسين والقساة، فمما لا شك فيه أنه سوف ينسج في خلقه

خيوطًا من الغش والخسة والقسوة. إذن، كل إنسان مصاغ، إلى درجة ما، بالرفقة التي ينشدها ويندمج فيها.

تتكون شخصية المرء، ربما بغير إدراك منه، طبقًا لمهنته اليومية. وبعض الناس يتمتعون بفراسة قوية ويقولون إن لديهم القدرة على أن يعرفوا مهنة شخص ما بمجرد أن يلقوا عليه نظرة في الطريق. وهنالك أكيدًا، رجال يحملون حرفتهم معهم، مختومة على وجوههم وتدل عليها مشيتهم.

أتيحت لي الفرصة ذات مرة لأن أزور مسلخًا للمواشي، ولا أنوي هنا أن أصف ما شاهدته فيه، ولكني اقتنعت حينئذ أنه ما من أحد يعمل في هذه المهنة من غير أن يتقسى قلبه. ولقد ذُكر لي فيما بعد أن بعض القضاة يرفضون أن يقبلوا شهادة العاملين في المسلخ حينما يعرفون ما هي مهنتهم. لا ريب في أن مهنة المرء تسهم بدورها في صوغه.

لسوف توافقني على أن شخصية الإنسان تتشكل وتتطور كذلك بحسب ما يقرأه. فقد يُهذّب الشخص حياته، أو يفسدها، بالكتب التي يطالعها في أوقات فراغه. إن المطبوعات السطحية والمثيرة والتافهة، تنتج شخصية سطحية ومثيرة وتافهة؛ بينما الكتب المحتوية على فكرة راسخة وهدف قيّم، وتستدعي من القارئ إهتمامًا جديًا غير مجزأ، تولّد في قارئها خلُقًا قويًا صادقًا وثابتًا. ولا ينازع أحد في أن المكان الذي فيه يقيم المرء له أيضًا دوره في تكوين شخصيته وخلقه. فمن يسكن في شقة أو في حي متواضع، يكتسب شخصية تختلف كثيرًا عن شخصية من يقطن دارًا قائمة على تل ومحاطة بالورود ونباتات متعددة عابقة الشذى.

إن الإنسان يتأثر بمحيطه طوال حياته. وقد قادت هذه الحقائق بعض الدارسين إلى أن يستخلصوا فلسفة عن الحياة تبدو للوهلة الأولى معقولة وممكنة وحتى مرجّحة. وهي تنص على أنه ما دام الإنسان يتأثر ببيئته، فكل ما علينا

فعله لتحويل حياته هو إعادة صنع بيئته. ويضيف أصحاب هذه الفلسفة قائلين، «أنقل إنسانًا ما من الشقة والحي المتواضع إلى مسكن نموذجي في الريف أو الضواحي. وأخرجه من المصنع حيث يعمل في شروط صحية سيئة تجعل منه فخًا للموت، وضعه في معمل حسن التهوية نقي الأجواء ومجهز بالأدوات الحديثة. أبعده عن المنطقة الموبوءة بالجريمة إلى موقع يتوسط المروج والحقول الخضراء، وزوده بمنزل فيه وسائل الراحة وحمام حديث، وعلق مجموعة من الصور واللوحات المناسبة على الجدران. إن فعلت له كل ذلك، فسوف تعيد صنعه وتكوينه.» هذا هو مفهوم البيئة أو مذهبها الدارج.

ولقد قيل أن مذهب البيئة تحطم إلى شذرات في جنة عدن. فالله تعالى لم يخلق آدم ويهيء له بداية حياته في مصنع أو في شقة أو في حي متواضع، بل في جنة كانت أكمل البيئات لطبيعة الإنسان المعقدة. فإن أفضل ما تكون عليه حالة الإنسان الجسمانية هي في الريف بعيدًا عن قذارات المدن ومشقاتها. ويتطور نشاطه العقلي على أحسن وأكمل وجه عندما يهرب من صخب الجماهير وضجيج الحركة في المراكز السكنية إلى هدوء الطبيعة ووحدتها بين الجبال والغابات. وفي اعتقاد بعضنا أن الإنسان يستطيع الصلاة إلى خالقه تحت زرقة السماء وخضرة الأشجار، أكثر مما يستطيعها بين منازل وبنايات مزدحمة، تحد من رؤيته للطبيعة وتحجب عنه الزرقة والخضرة وصفاءهما.

أجل خلق الله آدم في بيئة مثالية كاملة، ومن غير أية وصمة أو شائبة وراثية، ومع ذلك أخفق آدم.

وثمة مثل أقرب عهدًا، نأخذه من حياة أحد رجال التوراة. فقد استهل سليمان الحكيم حياته في بيئة لم يتوفر أكمل منها لأي رجل سواه. أعدت بطولات أبيه له مملكة مزدهرة وقوية، ومنحته توبة أبيه ودموعه إرثًا روحيًا

متميزًا. اختارته الإرادة الإلهية لبناء الهيكل، بعدما منعت والده الملك داود من أداء هذا الدور بسبب فشله في بعض شؤون حياته. إلا أن هذه البيئة الممتازة لم تَحُل دون أن يرتكب سليمان ذنبًا كبيرًا في حياته، إذ تمادى في تعدد زوجاته وكانت بعضهن يعبدن الأصنام.

يصح لنا إذن أن نستنتج أنه لا يمكن للبيئة أن تغير كينونة الإنسان أو تحميه من اقتراف الآثام.

2

نصل الآن إلى البيئة كإعلان إلهي. يقول الوحي الكريم، «لأَنَّنَا فِيهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ.»[16] هنا نتعلم أمورا خطيرة أهمها أن الله الحي الدائم هو البيئة الصحيحة لكل كائن بشري. هذه حقيقة أصبحت مألوفة لدرجة أنها فقدت قدرتها على تحريك قلوبنا. قد لا يجادل أحد حول هذه الحقيقة، ولكن أكثر المهام صعوبة هي أن تجعل الناس يؤمنون بالأشياء التي يظنون أنهم بها مؤمنون!

«فِيهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ». إذن، الله هو بيئتنا الأولى. «فيه نحيا». وما هي الحياة؟ إنها لغز أبدي حيّر المفكرين والعلماء ويحيط هذا اللغز بحياة النبات والحيوان كما يحيط بحياة الإنسان الأرقى. ما من رجل «رأى» الحياة او استطاع تحليلها. حاول عالم ألماني خلال سنوات طويلة ومضنية، أن يعيد جمع أجزاء متفرقة من جسم بشري، لعله أن ينتج حياة

16) أع 17: 28

جديدة ولكنه فشل في محاولته. حين نقف إلى جانب رجل محتضر، نراه حيًا ثم فجأة نراه ميتًا.

مع أن قول الوحي المشار إليه لا يعطينا توضيحًا مفصلًا ونهائيًا لهذه المعضلة، إلا أنه يعلن مبدأ هامًا بخصوصها. «فيه نحيا»، إنما بذلك يكون الفرق بين الأحياء منا وبين من ماتت أجسادهم منتظرة دفنها، إذ لم تعد تحيا فيه تعالى. ويقرّب الوحي الإلهي هذه الحقيقة الأساسية الكبرى إلى إدراكنا، فيقول، «فيه نحيا ونتحرك». لا ترتفع لنا يد إلا وتكون الطاقة الإلهية قد رفعتها؛ ولا نخطو خطوة إلا وبقدرة من الله. ثم يضيف الوحي إلى هذه العبارة قوله «ونوجد» مقدمًا لنا كامل الحقيقة التي نحن بصددها.

إذن، الله هو البيئة الأولى، وهو الحقيقة الأسمى في كل حياة. فيه تعالى يحيا الإنسان ويتحرك ويوجد. وإذا كان الإنسان في أحسن أوضاعه، أي إذا خضعت قواه البدنية والعقلية للروح، لأدرك أن الله أقرب إليه من الكتاب الذي يقرأه، ومن الدار التي يسكنها ومن رفاقه وأصدقائه ومن مشاغل الأيام كلها.

فلا يصعب علينا أن نتبين خطأ الاستنتاجات القائمة على مذهب البيئة الشائع. وبوسعنا أن نستمد الاستنتاجات الصحيحة من كون الله البيئة الأساسية لنا. إن الإنسان القاطن في هذه البيئة الإلهية، عن وعي، يتفوق على كل بيئة سواها، ويسود على أية قوة أخرى تعاكس حياته.

إذا سُئلنا عن الرجل المقيم في حي فقير، ماذا نفعل له؟ هل نخرجه من هذا الحي؟ يكون جوابنا، استنادًا إلى استنتاجاتنا الصحيحة، كلا، بل نرشده إلى طريق عيسى المسيح، ومن هذا الطريق يحيا في رابطة مع الله؛ وسيعيد سبحانه وتعالى صوغه ويمكّنه من تغيير بيئته الخاصة القديمة.

كذلك نفعل مع الرجل الذي يعمل في شروط غير صحية، أو يقرأ كتبًا مبتذلة ضارة، أو يعاشر رفاق السوء. إن أردنا تغيير أوضاعه، فلا نبدأ التغيير المنشود بهذه الأوضاع، بل بالرجل نفسه. نؤدي دورنا في إعادة هذا الإنسان إلى العلاقة الصحيحة مع الخالق العليّ القدير، ليحيا ويتحرك ويوجد فيه تعالى. وسيتغلب حينئذ على جميع العوامل الخارجية التي تعاكسه وتعاديه، وسيعيد تشكيل كل محيطه بقدرة الله.

ولننظر هنا، بتقدير وإجلال، إلى مثلنا الأعلى، الإنسان الكامل، وفادينا المعبود، ولنقارنه بالمثل الذي كنا قد ضربناه من العهد القديم. بالكاد يود الإنسان أن يقارن بين عيسى وسليمان، لو لم يكن المسيح نفسه فعل ذلك حين قال، «هُنَا أَعْظَمُ مِنْ سُلَيْمَانَ.»[17] بدأ سليمان، كما سبق وذكرنا، في بيئة ندر نظيرها، بيد أنه فشل للسبب الذي أوردناه. أما عيسى فبحسب النظرة البشرية، جرى كل شيء ضده في بيئة حياته المتعلقة بمهمته الخاصة إلى العالم. كان رجلًا من الشعب، قروي المولد، عانى من الفقر طيلة حياته الأرضية، بين ناس يعتبرون الفقر وكأنه جريمة. وعندما جمع تلاميذه حوله، لم يفهموه أبدًا، وفي اللحظة الحاسمة والفاجعة تخلى عنه الجميع ولاذوا بالفرار.

لما بلغ سليمان نهاية عمره، أوجز قصة إخفاقه بقوله، «بِلا مَعْنَى أَبَدًا! بِلا مَعْنَى أَبَدًا! الْكُلُّ بِلا مَعْنَى!»[18] أما عيسى، فبعدما أتم فداءنا، وحين جاء الوقت ليصعد إلى عرشه في السماء، قال، «كُلُّ سُلْطَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعْطِيَتْ لِي.»[19]

17) لو 11: 31
18) جا 1: 2
19) مت 28: 18

صدرت العبارة الأولى عن رجل، بسبب الذنب والمعصية، فَقَدَ الإحساس ببيئته الحقيقية، فأمسى عبدًا لكل ما أحاط بمنصبه. أما العبارة الثانية فكانت للرجل الكامل المنتصر الذي عاش في البيئة الحقيقية. عاش، وتحرك وكان له وجوده في الله، فأمكنه أن يقول أيضًا، «لَسْتُ وَحْدِي لأَنَّ الأَبَ مَعِي.»[20]

كل تابع حقيقي لعيسى المسيح هو مثال لذات الحقيقة الكبرى، إذ يخرج من الباطل ويدخل في الحق. والله تعالى قد جعل ودرّب خير قديسيه من خلال الظروف الصعبة والحرجة التي مروا فيها.

3

لا بد للبيئة من أن تمتلك قاعدة لعملها. وتوضيحًا للمعنى المقصود بهذه الجملة، دعنا نفترض أنني في حديقة مرويّة جيدًا، محروثة بعناية، وتربتها غنية وخصبة. وقد قررت أن أزرع فيها شيئين: حصاة ناعمة الملمس وجميلة الشكل، كنت قد التقطتها من شاطئ البحر، وبلوطة كنت على التو قد أسقطتها من شجرتها. كلتاهما في ذات الحجم، ولا تبدوان غير متشابهتين؛ قد تكونان مختلفتين في الوزن، لكن يظهر لعين الرائي، أنهما شديدتا الشبه من جميع النواحي. وأغرس الحصاة والبلوطة في الحديقة، وسط بيئة واحدة لهما معًا، ذات التربة، وأشعة الشمس، وقطرات المطر ونسمات الهواء. لا ريب في أنك قد حللت لي هذا اللغز، وحلك له سهل وصحيح إذ تقول: ستخرج البلوطة من قشرتها في الربيع، وسيمر الناس بها عبر القرون وهي منتصبة شجرة

20) يو 16: 32

قوية تتحدى شتى مؤثرات الفصول. لكن الحصاة ستبقى دفينة في التربة ولن يراها أحد من بعد أبدًا.

ليس القائد الديني فقط، أو أتباع المسيح، ولا المترددون على دور العبادة وحدهم، هم الذين يحيون ويتحركون ويكون لهم كيانهم في الله. إنما كل نفس، كل إنسان حتى لو كان أكثر الناس تهتكًا وفسقًا وجشعًا وأقلهم تقوى «يحيا ويتحرك ويوجد في الله». ولكن الفرق بين إنسان شبيه بالبلوطة وآخر شبيه بالحصاة، هو أن «حياة الروح» في أحدهما ميتة، أو كما يقول الإنجيل الشريف، «وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ مَيِّتِينَ بِسَبَبِ مَعَاصِيكُمْ وَذُنُوبِكُمُ.»[21] إن حياة الدنيا المتمثلة بالجسم المادي موجودة، بيد أن المادي لا يرث مُلك الله. كذلك عقله متقد وقائم بنشاطه، غير أنه ما من إنسان يجد الله عن طريق البحث الذهني وحده. أما الإنسان الأول فالروح فيه مسيطرة، ولقد أدرك أنه أكثر من جسم مادي وقوة ذهنية، وخضع للسلطة الإلهية، فوُلد من جديد، «إِنْ كَانَ وَاحِدٌ يَنْتَمِي لِلْمَسِيحِ، فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. رَاحَ الْقَدِيمُ وَجَاءَ الْجَدِيدُ.»[22]

قد يقول امرؤ ما، «يمكنني بالتأكيد أن أكون تابعًا لعيسى المسيح إذا استطعت الخروج من هذ المأزق أو من هذا الوضع، أو من هذا العمل، حيث يحيط بي رجال غير أتقياء.» لكن هذا المرء إن لم يستطع أن يكون مؤمنًا في الظروف والأحوال الحالية، فلن يكون مؤمنًا في أي ظروف وأحوال أخرى.

طالما أن المرء يتوق إلى التحرر من بيئته الحالية لكي يصبح تابعًا لعيسى، فلن يجد أبدًا النجاة التي يطلبها.

---

21) أف 2: 1
22) كور 5: 17

إنما عليه، أينما كان، أن يحيا ويتحرك ويكون وجوده في الله، أن يؤمن ويعيش إيمانه حيثما وُجد وفي أي ظرف. ليتذكر دائمًا أن حياته في الله ستوفر له البيئة الأسمى والأقرب والأقوى من كل ما عداها من البيئات.

ولكي يصل إلى الله، فعليه أن يسلك الطريق الوحيد إليه تعالى، مستجيبًا إلى أقوال عيسى المسيح، «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ، أَنَا هُوَ الْحَقُّ، أَنَا هُوَ الْحَيَاةُ. لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى الأَبِ إِلا بِوَاسِطَتِي.»[23] «تَعَالَوْا لِي يَا كُلَّ التَّعْبَانِينَ وَالَّذِينَ أَحْمَالُهُمْ ثَقِيلَةٌ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ.»[24]

23) يو 14: 6
24) مت 11: 28

الفصل الثالث

الوراثة

وَكَمَا أَنَّهُ بِمَعْصِيَةِ إِنْسَانٍ وَاحِدٍ صَارَ كُلُّ الْبَشَرِ مُذْنِبِينَ،
كَذَلِكَ بِطَاعَةِ إِنْسَانٍ وَاحِدٍ يُمْكِنُ لِكُلِّ الْبَشَرِ أَنْ يُعْتَبَرُوا صَالِحِينَ عِنْدَ اللهِ.
وَالشَّرِيعَةُ جَاءَتْ لِتُبَيِّنَ فَظَاعَةَ الْمَعْصِيَةِ. لَكِنْ كُلَّمَا كَثُرَتْ خَطِيئَةُ النَّاسِ،
تَزِيدُ نِعْمَةُ اللهِ أَكْثَرَ مِنْهَا. وَالنَّتِيجَةُ هِيَ: كَمَا أَنَّ الْخَطِيئَةَ سَيْطَرَتْ
فَجَلَبَتِ الْمَوْتَ،
كَذَلِكَ تُسَيْطِرُ النِّعْمَةُ عَنْ طَرِيقِ الصَّلاحِ
فَتَجْلِبُ حَيَاةَ الْخُلُودِ بِوَاسِطَةِ عِيسَى الْمَسِيحِ مَوْلَانَا.

الرسالة إلى روما 5: 21–19

سوف ندرس، في هذا الفصل، موضوع الوراثة، أو تناقل الصفات من فرد إلى فرد أو من جيل إلى جيل. ولكننا نود استعمال كلمة أخرى وهي الميراث، لأنها أوسع في تطبيقاتها، فهي تشمل تناقل الصفات والممتلكات. فالوراثة تعني نصف ما يشكل التراث الإنساني. وثمة شيء آخر يجب قوله وهو يخص كل نفس، ويخبرنا عن توفر محبة الله، «فكل طفل كما قال أحدهم – هو «وارث لحصيلة الأجيال كلها»، ويبدأ رحلة حياته بميراث معين، قد يشكر عليه أجداده أو قد يذمهم. ولا بد لنا جميعًا من أن نقر بهذه الحقيقة، سواء أعُدنا بها إلى المعصية الأولى، معصية آدم، وتأثيرها المستمر على الجنس البشري بأسره حتى يومنا هذا، أم لم نعد، فالدين والعلم كلاهما يفصحان عن أن الإنسان شديد الارتباط بأسلافه إلى حد أنه يتأثر بهم تأثرًا مباشرًا وقاطعًا.

سنتناول أولًا، في هذه الدراسة، الوراثة كجزء من الميراث البشري. وسنبحث ثانيًا في بيان الوحي عن النعمة الإلهية كجزء ثانٍ ثم سنحاول ثالثًا أن نستنتج من كلاهما الإمكانيات المتاحة لكلٍ منا حين يواجه الحياة بكل غموضها وتناقضها.

1

ما هو قانون الكتاب المقدس بشأن الوراثة؟ يقول الوحي الإلهي في الإنجيل الشريف، «بِمَعْصِيَةِ إِنْسَانٍ وَاحِدٍ صَارَ كُلُّ الْبَشَرِ مُذْنِبِينَ.»[25] وربما يختلف الكثيرون حول تفسير هذه الآية، ولكنهم جميعًا ينادون بقانون الوراثة الهام الوارد فيها. ويقول العلماء إن ماهية الإنسان، وما يعمله، وما سيكون عليه في النهاية، يعتمد على لون شعره، وشكل كيانه الجسماني، وعلى ما كانه أسلافه من قبله. بيد أن هؤلاء العلماء يتعجبون عندما يعلمون أن الإنجيل الشريف قد عبّر عن هذا المبدأ الخاص بالوراثة وأقرّ به، في الآية التي سبق إيرادها.

عندما نعتبر الحياة بجدية أكثر، ونتوقف عن النظر إليها كغرض للهو، سننتبه لمستقبنا ونسمع النداء الإلهي. في قلوب من يعقلون منا أصوات عميقة تدعونا إلى حياة نبيلة. ربما يصعب علينا فهم أو شرح هذه الأصوات، وتحري مصدرها، لكنها موجودة. وحين نصحو – على هذه الأصوات – نتبين أننا لسنا أحرارًا من نقائص لم يكن لنا اختيار فيها، كما ندرك أنه تقوم، داخل شخصية كل منا، نزعات وميول تجذبنا إلى دروب معينة في الحياة.

وليست كل هذه النزعات والميول شريرة أو ضارة. ربما في اللحظات الساحرة التي تغيب فيها الشمس، مخبرة عن إشراق جلال الله وراء ظلمة الطبيعة، نكتشف أننا فنانون، ورثنا الفن عن أجداد لنا.

إنما أغلب الأحيان، نستيقظ – على تلك الأصوات – لنكتشف رغبات وأهواء فاسدة؛ ومن بينها رغبة معينة كانت في ذاتها طبيعية نقية، لكنها شُوهت وتحولت إلى رغبة جامحة تصرخ فينا بقوة وإلحاح، «أعِني، أشبعني، سُدّ حاجتي»

25) رو 5: 19

أي أننا نفيق لنجد الشهوة والانفعال والطمع والشر في داخلنا. ألا نجد دلالة على ذلك في قول أحدهم أن شيئًا في أعماقه دفعه إلى تناول المسكرات، أو قول آخر أنه وُلد فاسدًا؟

لماذا يجد شباننا أنهم فجأة مسحوقون، واقعون في صراع داخلي، ومقدمون على أفعال آثمة؟ إنهم لم يختاروا هذه الأفعال، لكنهم تحت شروط معينة للحياة يجدون في داخلهم شيطانًا كان نائمًا، وبطريقة ما استفاق وبات سيدًا عليهم. لقد ورثوا نزعات شريرة من أحد ما مضى قبلهم. وهذا بالذات ما قاله بولس الرسول، «بمعصية إنسان واحد صار الجميع مذنبين»، سيان في ذلك أكان الإنسان المعنيّ هنا آدم أو جدًا أو أبًا لنا. إنه القانون الرئيسي: نحن مذنبون بالولادة، بالقوى عينها التي تقوم في داخلنا، ولسنا مسؤولين عنها.

لكن كتاب الله يعلن شيئًا آخر إلى جانب ذلك القانون.

2

يعلن الإنجيل الشريف أن هنالك حقيقة إضافية أتى بها عيسى المسيح، وهي حقيقة تسير جنبًا إلى جنب مع الحقيقة الأولى، أقصد بهذا قول بولس بالوحي، «كُلَّمَا كَثُرَتْ خَطِيَّةُ النَّاسِ، تَزِيدُ نِعْمَةُ اللهِ أَكْثَرَ مِنْهَا.»[26] وقد ارتبطت هذه بجزء من الآية السابقة لها، ونصه، «كَذَلِكَ بِطَاعَةِ إِنْسَانٍ وَاحِدٍ يُمْكِنُ لِكُلِّ الْبَشَرِ أَنْ يُعْتَبَرُوا صَالِحِينَ عِنْدَ اللهِ.»[27]

26) رو 5: 20
27) رو 5: 19

حتى ندرك مدى أهمية هذا الخبر المفرح عن نعمة الله، ينبغي علينا أن نعرف أن الله دائمًا يتعامل مع الإنسان شخصيًا وفرديًا. ويبدو هذا بيانًا صعبًا قبوله في ضوء ما سبقت لنا دراسته.

يقول الوحي الكريم على لسان النبي حزقيال، «أَنْتُمْ تَضْرِبُونَ مَثَلا عَنْ أَرْضِ إِسْرَائِيلَ وَتَقُولُونَ: الآبَاءُ أَكَلُوا الْحِصْرِمَ، وَأَسْنَانُ الأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ. فَمَاذَا تَقْصِدُونَ بِهِ؟ أُقْسِمُ بِذَاتِي لا تَعُودُونَ تَضْرِبُونَ هَذَا الْمَثَلَ فِي إِسْرَائِيلَ. هَذَا كَلامُ اللهِ. لأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ حَيٍّ هُوَ لِي. الأَبُ لِي وَالابْنُ أَيْضًا لِي، كِلاهُمَا لِي. وَالشَّخْصُ الَّذِي يُخْطِئُ هَوَ الَّذِي يَمُوتُ.»[28]

وحتى يومنا هذا، ما زال الناس يضربون هذا المثل وسيظلون يفعلون ذلك دائمًا. لكنه مَثَل لا صحة فيه إطلاقًا. إن الله لا يعاقب ولدًا على أخطاء والده. ولهذا أورد حزقيال هذا المثل بقصد أن ينقضه كما رأينا.

وقد يقول أحدهم، «إذن لماذا يقول الله تعالى، «أَنَا الْمَوْلَى إِلَهَكَ إِلَهٌ غَيُورٌ، أُعَاقِبُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي أَبْنَائِهِمْ إِلَى الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنَ الَّذِينَ يَكْرَهُونَنِي»؟[29]

يجدر بهذا السائل ألا يغفل أهمية الكلمتين الأخيريتين، الذين يكرهونني إذن نحن أمام حقيقتين تبدوان متناقضتين. تقول الأولى إن الإنسان يبدأ حياته تعوقه نزعات موروثة. بينما تقول الثانية إن الله يحمّله وزر أفعاله هو، ولا يرجع تعالى إلى ما كان عليه والد هذا الفرد. يمكن توضيح هاتين الحقيقتين معًا على النحو التالي: قانون الحياة الذي لا مفر منه هو أننا نرث الميل لفعل الشر من آبائنا. كذلك هو قانون أن الله يتعامل مع كل منا شخصيًا وفرديًا، فهو تعالى يعاقب المرء أو يكافؤه بحسب أفعال هذا المرء من دون أي اعتبار للعلاقة بينه

28) حز 18: 2–4
29) خر 20: 5

وبين والده ومن أجل أن يفعل الله ذلك، يتحتم بطريقة ما وفي مكان ما، أن يزودنا تعالى بشفاء للسّم السابق وجوده في عروقنا. لا بد أن يمدنا جل وعلا بشيء يكون في قوة النزعة إلى الشر الكامنة فينا، بل أقوى منها ليتغلب عليها. وهذه هي رسالة الإنجيل الشريف.

إنها الخبر المفرح عن مجيء عيسى إلى الأرض ليحيا حياة البشر ويواجه ذات تجاربهم، معانيًا لأجل ذنوبهم، ومضحيًا على الصليب بحياته الطاهرة افتداءً لهم. أتى عيسى لكل نفس بإرث آخر، هو إرث الصلاح القيّم الثابت.

مهما كان الإنسان مقيدًا بسلاسل الخطيئة وقيود الشهوة وثورة الغضب فإن عيسى بقوة روحه القدوس قادر على أن يحطم هذه السلاسل والقيود ويطفئ نيران الثورة، فيطلق الإنسان حرًا.

إذن لنا ميراث ثنائي: ميراث الشر الذي أعاق أحسن نوايانا ومقاصدنا، وميراث قوة عيسى المسيح التي تدخل فينا فتحررنا.

ونحن الذين ننعم بميراث قوة عيسى منذ أن صرنا تابعين له، حري بنا أن ندع جيراننا وأصدقاءنا وسائر الناس التابعين لأمور الدنيا، يشاهدون فينا كيف يعيش المؤمنون حقًا بعيسى، فيقولون، «لقد رأينا فعلًا، التغيّر الذي أحدثه المسيح في هذا الإنسان؛ فبعدما كان غضوبًا، نكدًا، قاسي القلب، أصبح لطيفًا، ودودًا، حليمًا وشفوقًا، مثل عيسى المسيح نفسه.»

أليست نعمة الله تعالى هي التي صنعت فينا هذا التحول؟ «حيث كثرت الخطيئة، تزيد النعمة أكثر منها؟» والنتيجة هي: «كَمَا أَنَّ الْخَطِيئَةَ سَيْطَرَتْ فَجَلَبَتِ الْمَوْتَ، كَذَلِكَ تُسَيْطِرُ النِّعْمَةُ عَنْ طَرِيقِ الصَّلاحِ فَتَجْلِبُ حَيَاةَ الْخُلُودِ بِوَاسِطَةِ عِيسَى الْمَسِيحِ مَوْلَانَا.»[30]

30) رو 5: 21

3

ما الذي اتضح لنا في هذه الدراسة؟

لقد ورثنا عن آبائنا ميلًا للشر، و لم يكن لنا فيه الخيار، لأننا وُلدنا به. ولكن إلى جانب هذه الوراثة توجد نعمة الله؛ روحه القدوس الذي يلغي الخطيئة.

بعدما نكون قد وُلدنا وفينا نزعة الشر، نحصل في حياة ومثال عيسى المسيح على أساس لشخصيتنا الجديدة، إذا نحن آمنا به. أما إذا رفضنا عيسى، فسنبقى ضحايا لتلك الميول الفاسدة الهاجعة في طبيعتنا البشرية.

وفي يوم الحساب، سيكون السؤال أمام عرش رب العزة والجلال، «هل قبل هذا الإنسان عيسى المسيح أم رفضه؟» ولن يكون لأحد يومها العذر في أن يقول، «يا الله، كنت قد ولدت بنزعة إلى الذنب»، لأنه سيأتيه الجواب من الديان العادل، «كنت أيضًا مولودًا مع حق لك في حياة عيسى المسيح، لكنك اخترت عمدًا أن ترفض هذه الحياة المنتصرة وأن تتمسك بالموت الناجم عن الخطيئة. وقد حتم ذلك الاختيار قدرك.»

إن هذه الفرصة، فرصة ما عمله عيسى على صليب آلامه من أجلنا، متاحة لكل واحد منا، لكي تجعلنا طاهرين كما كان المسيح طاهرًا. وبوسعنا من خلالها أن نكبح نزعة الإثم فينا ونقضي عليها.

الفصل الرابع

العداوة الروحية

ثُمَّ قَادَ الرُّوحُ الْقُدُّوسُ عِيسَى إِلَى الصَّحْرَاءِ لِيَمْتَحِنَهُ إِبْلِيسُ.

متى 4: 1

وَبِمَا أَنَّهُ (أي عيسى) هُوَ نَفْسَهُ تَأَلَّمَ وَامْتُحِنَ، فَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يُعِينَ مَنْ هُمْ فِي مِحْنَةٍ.

الرسالة إلى العبرانيين 2: 18

ربما كانت العداوة الروحية من أكبر المشكلات في حياتنا وأشدها غموضًا. وبعد نقائص البيئة والوراثة، تأتي هذه المشكلة لتعرضك – كما تعرض كل نفس – لإيحاءات الشر، وتغريك به وتوفره لك. وهي منفردة تمامًا عن الإغراءات التي تواجهها كل يوم في البيئة العادية، أو عن نزعة الشر التي ولدت بها؛ وتعتبر أمكر وأشد الأخطار عليك؛ لأنك فيها لا تكافح الدنيا والجسد فقط، بل والشيطان أيضًا.

ثمة أسرار كبيرة تحيط بوجود الأعداء الروحيين. هنالك، خارج كوكبنا الأرضي، شر وخطيئة وباطل، وهي ليست إنتاجات طبيعية لعملية الخلق التي قام بها الله، والتي نحن نشكل منها لا جزءًا فحسب بل القمة والجلال. إن الشر ليس أصيلًا في تربة الأرض، ولكنه مستورد إليها. ووجوده في عوالم أخرى هو لغز أبعد مطلقًا من إمكانية فهمنا أو شرحنا له.

لا بد لنا أن نواجه واقع وجود الشر المنتشر، جنبًا إلى جنب مع الحقيقة السامية، حقيقة أن تطلعاتنا تتجه نحو الله تعالى.

حاولنا حتى الآن أن نفكر حول الشر المحيط بنا والشر الكامن فينا. وننتقل ههنا بتفكيرنا إلى الأعداء الروحيين، وكيف نقاومهم ونناضل ضدهم حتى نحرز النصر التام عليهم.

لقد جاء عيسى ليُظهر الله للإنسان، وهو قد جاء أيضًا ليُظهر الإنسان للإنسان. فمن دونه، بشخصه وخلقه وتعاليمه، لا نستطيع أن نملك مفهومًا صحيحًا عن المثل الإلهي الأعلى للإنسان. لكننا في عيسى المسيح، نرى مثالًا راسخًا وملموسًا، للقصد الذي كان في فكر الله عندما قال تعالى، «لِنَصْنَعِ الإِنْسَانَ.»[31]

ونمضي خطوة أبعد في إدراك هذا الدور الفريد لعيسى المسيح، فنعلم أنه لم يأت ليُظهر الله والإنسان وحسب، بل وليُظهر أيضًا القوى الروحية التي تعارضنا وتعادينا. فقط عندما ندرس حياة الإنسان الكامل، عيسى المسيح، يكون بميسورنا أن نفهم كل حذق وقوة أعدائنا الروحيين. فقد جرّ هؤلاء الأعداء من الظلام ووضعهم أمامنا تحت نور ساطع، وفي ضوء تعامله معهم نرى ماهية العلاقة بيننا وبينهم، ونتعلم كيف نهزمهم.

لقد جُرب الإنسان في شتى العصور. وكانت القوى الروحية المعادية، قبل مجيء عيسى إلى الأرض، منهمكة على الدوام في إفساد عمل الله وتشويه جمال ما صنعه تعالى. ثم جاء عيسى وكشف عن هذه القوى بنور حياته الطاهرة. وما من جزء من هذا الكشف عن إبليس وقواته أكثر إدهاشًا وأقوى إيضاحًا ودلالة، من القصة التي تقدم لها الآية المذكورة في بداية هذا الفصل، «ثُمَّ قَادَ الرُّوحُ الْقُدُّوسُ عِيسَى إِلَى الصَّحْرَاءِ لِيَمْتَحِنَهُ إِبْلِيسُ.»[32]

ذهب عيسى لا إلى البيئة الكاملة في جنة عدن، وإنما إلى عزلة الصحراء القاسية وكآبتها المميتة، لكي تتخطى إنسانيته مرحلة البراءة إلى مرحلة القداسة، ولينتصر على قوى الشر التي كانت قد حطمت الجميع من قبل. هناك تحداه إبليس بتجربة ثلاثية: أن يحول الحجارة إلى خبز، وأن يطرح نفسه من قمة

31) تك 1: 26
32) مت 4: 1

المعبد إلى تحت، وأن يحوز على جميع ممالك الدنيا. ومن هذه القصة المألوفة لدينا، ننطلق إلى موضوعين: هزيمة عيسى للشر، وانتصاره عليه، ثم منهما نبلغ إلى التشجيع والعزاء اللذين نجدهما في هذه الآية، «وَبِمَا أَنَّهُ (أي عيسى) هُوَ نَفْسَهُ تَأَلَّمَ وَامْتُحِنَ، فَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يُعِينَ مَنْ هُمْ فِي مِحْنَةٍ.»[33]

1

إذن ما هو «إظهار الشر» الذي حصل في ذلك المشهد في الصحراء؟

الشر ممثلًا بإبليس في هجومه على المسيح، هو وقاحة جريئة. إن الشيطان مدفوع بكل ما هو غريب عن طبيعة الله. «الله محبة» لكن إبليس يجسد الكراهية العاتية. «الله نور» بيد أن إيحاءات إبليس هي من صميم طبيعة الظلام. و «الله حرية»، هو تعالى في المسيح يحرر الناس. كان عيسى في خلال جميع سنوات حياته التي سبقت ساعة الامتحان هذه، قد عاش في النور الباهر للعرش الأزلي، في كامل الطهارة والصلاح، ومع ذلك تبلغ غطرسة جهنم إلى حد أن «أميرها» إبليس يحاول أن يفسد حتى هذا الجمال. إذن، ما من طهارة ستحول دون أن يحاول الشيطان أن يجعل النفس دنسة.

أولا: الشر ماكر، يختار وقته للهجوم على النفس، وما من لحظة تكون فيها النفس أكثر عرضة لانقضاض إبليس عليها، من اللحظة التي تتبع وجودها في نشوة وفي رؤية روحية نيّرة. كان عيسى قبلما امتحنه إبليس، قد توجه من عزلته في مدينة الناصرة إلى مياة الأردن حيث جرى تغطيسه، وحيث

33) عب 2: 18

سمع صوت أبيه يقول من السماء، «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي يُفَرِّحُنِي.»[34]

ويبدو مكر الشيطان أشد وضوحًا في واقع أنه يتقدم بهجماته على سبل مشروعة. إن الرجل الجائع لا بد أن يزوّد نفسه بالخبز، ففي سد الحاجة الجسدية الضرورية، تقع التجربة الأولى التي تنطوي عليها هجمات إبليس. إنه لا يأتي إلى الإنسان الطاهر في عزلة الصحراء، ليحاول أن يغريه بالشر في شكل بغيض، بل ليقترح عليه أن يزود نفسه بما هو صحيح في حد ذاته.

كذلك يبني الشيطان إغواءه على أرفع وأنبل العلاقات، فقد قال لعيسى، «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ.»[35] «ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنْ عَظَمَةٍ، وَقَالَ لَهُ، «أُعْطِيكَ هَذِهِ كُلَّهَا إِنْ كُنْتَ تَرْكَعُ وَتَسْجُدُ لِي.»[36] وهنا أيضًا، لجأ إلى شيء صحيح ومناسب. فإنما جاء عيسى ليقتني هذه الممالك، وعاش ليمسك بصولجان الحكم فوقها جميعًا.

نلاحظ مرة أخرى أن إبليس يستعمل سبيل الصلاح، إذ لا يقترح على عيسى أن يتخلى عن الولاء والعبادة، وإنما يدعوه لأن يعبد من يبدو أن له حقًا في هذه الممالك.

ويأخذه أيضًا إلى قمة المعبد حيث يقول له، «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ، فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى تَحْتُ، لأَنَّ الْكِتَابَ يَقُولُ: يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ، فَيَحْمِلُونَكَ عَلَى أَيْدِيهِمْ فَلا تَصْدِمُ رِجْلَكَ بِحَجَرٍ.»[37] وكأن إبليس يقول لعيسى هنا، «ها هي فرصة لك تثبت فيها أبوة أبيك، ورقّة محبته، وقوة ذراعه. فانطلق إليه، إطرح نفسك إلى تحت، وامتحن أباك بتخليك عن حياتك على هذا النحو المهيب».

34) مت 3:17
35) مت 4:6
36) مت 4:9
37) مت 4:6

ليست هذه الإقتراحات والتجارب رديئة، منحطة، ومبتذلة بحسب المفهوم العام لهذه الكلمات، بل هي إقتراحات وتجارب نبيلة، روحية، دقيقة وماكرة، وبعيدة المدى. ونستطيع أن نفهم معانيها وأبعادها فقط حين نتبين أن المسيح قد قاوم ورفض كلًا منها. إننا نحتاج إلى أن نعلم مكر الخصم الذي يتحتم علينا أن نتعامل معه.

ثانيا: الشر، أو الشيطان، مثابر. لم يبدأ صراعه مع المسيح في البرية. فقد ظل عيسى ثلاثين عامًا يتعرض للتجربة في شكل أو آخر. في كل يوم كانت قوة شريرة ما تقوم ضده، بيد أنها كانت ترتد خائبة، عاجزة عن أن تخترق حاجز طهارته المنيع. كان عيسى في كل مرة يضع قدم إنسانيته الظافرة على عنق عدوه، لكن إبليس كان يعاود هجماته مرة تلو المرة، حتى بعدما تعمد عيسى بالروح من فوق. تبعه إلى جسيماني، ونسمع صدى إغرائه في الصلاة التي رفعها المسيح إلى الله، «يَا أَبِي، إِنْ أَمْكَنَ، أَبْعِدْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ.»[38] ومضى في طريقه إلى الصليب، حيث يمكننا أن نتبين حضور إبليس المثابر والعنيد، في صراخ عيسى المحتضر، «إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟»[39]

ثالثا. حماقة الشر. إننا لا نجد، في تلك التجربة، وقاحة الشر ومكره ومثابرته وحسب، بل وحماقته أيضًا. لاحظ أن الشيطان، برغم مكره الهائل، لديه ثلاثة سبل فقط يتبعها في هجماته، وهي سبل نموذجية، ولم يجرب أي نفس، عبر تاريخ العالم، إلا بواسطة أحد هذه السبل الثلاثة: الخبز، المركز، الثقة. هجومه، إذن، ثلاثي: جسدي، وعقلي، وروحي.

38) مت 26: 39
39) مت 27: 46

لم يفهم إبليس بعد مقدرة النفس التي وجدت مستقرها في الله. و لم يدرك أن تلك النفس النقية في صحراء الحياة لا يمكن أن تُهزَم ما دامت ثابتة بالله تعالى. كذلك لم يقس الشيطان لانهائية ولاحدودية العليّ العزيز، وإلا ما كان استهل الصراع بين ضعفه النسبي وبين عظمة قدرة الله وصلاحه جل وعلا. هنا تبددت حماقة الشر. لكن إياك أن تنسى أن مكر الشيطان أوسع وأبعد من مداركنا؛ وأنه لا يهاجمك في الموضع الذي أنت فيه أقوى ما تكون، بل في مكمن ضعفك. ولا تكن على مأمن منه، حتى ولو كنت قد اجتزت سنوات طويلة من إيمانك بالمسيح. لأن الشيطان المثابر العنيد سيظل يتعقبك بإغراءاته وحيله.

2

لماذا وكيف انتصر المسيح على تجربة إبليس له؟

كان عيسى، كما قال النبي إشعياء عنه إنه «يَفْرَحُ بِمَخَافَةِ اللهِ.»[40] لقد ميز امتحان الشر لما سئل أن يصنع خبزًا، وبذلك سئل أن يرضي رغبة سليمة بطريقة خاطئة. كان روح الله قد قاده إلى الصحراء ليصوم فيها. وتناول الطعام حينما يأمر الله بالصوم هو إثم. وقد تبدو هذه مسألة هينة، ذات أهمية صغيرة، لكنها –في حقيقتها– أساس الشر كله. ليس هناك شر جوهري أو غير جوهري. الشر هو دائمًا امتهان للحق، وهو إساءة استعمال لعطية صالحة. فلنا الحق في عطية الخبز، ولكن عندما يأمرنا الله بالصوم، لا نقرب الخبز.

لقد عرف عيسى أن غاية إبليس من هذا الامتحان كانت اخراجه عن إرادة الله. وجاءت معرفته من رابطته الدائمة مع الله، لأنه عاش وتحرك وكان كيانه

40) إش 11: 3

فيه تعالى. عندما قال له إبليس، «قُلْ لِهَذِهِ الْحِجَارَةِ أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلَى خُبْزٍ،»[41] رد عليه عيسى بقوله، «يَقُولُ الْكِتَابُ: لا بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ.»[42]

ثبت عيسى في الله، رافضًا كل دعوة مغرية، فأصبح أكثر من منتصر على القوى التي هاجمته بعنف. تأتينا الرسالة المفرحة من الإنجيل التي ذكرناها في بداية هذا الفصل، «وَبِمَا أَنَّهُ (أي عيسى) هُوَ نَفْسُهُ تَأَلَّمَ وَامْتُحِنَ، فَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يُعِينَ مَنْ هُمْ فِي مِحْنَةٍ.»[43]

كيف يقدر المسيح أن يعين؟ إن النفس التي تُسلم له، تتلقى منه العون حين تتعرض للتجربة، بهذه الطريقة: يُطهّر طبيعتها أولًا؛ ويستعيدها إلى بيئتها الحقيقية ثانيًا؛ ثم يقيم بروحه في داخلها، ويخوض معركتها ويحرز النصر لها.

إذن، عندما تنتصر على أعدائك الروحيين، لا تكون قوتك سبب انتصارك، بل يكون السبب أنك أسلمت حياتك للمسيح، وهو يحارب هؤلاء الأعداء ويهزمهم.

إن كل قصة الانتصار على العداوة الروحية موضوعة بوضوح في هذه الكلمات، «اِخْضَعُوا للهِ، قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ.»[44]

الآن، يا صديقي، أصبحت تعرف ما هو الحل السليم الوحيد، لجميع مشاكل حياتك.

نعم، مشاكلك لها حل!

41) مت 4: 3
42) مت 4: 4
43) عب 2: 18
44) يع 4: 7